شبابنا آمالنا

الشباب العربى والتغير الاجتماعى

د. سامية الساعاتى

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

شبـــابنا آمـــالنا

الدار المصرية اللبنانية

الدار المصرية اللبنانية

16 ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : 3923525 ـ 3936743
فاكس : 3909618 ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : 2022 ـ القاهرة
رقم الإيداع : 17332 / 2002
الترقيم الدولى : 7 - 752 - 270 - 977

الطبعة الأولى : شوال 1423 هـ ـــ يناير 2003 م .
جمع وطبع : **عربية للطباعة والنشر**
تليفون : 3256098 - 3251043

شبـــابنا آمـــالنا

الشباب العربى والتغير الاجتماعى

د . سامية الساعاتى

الـنـاشـر
الدار المصرية اللبنانية

لماذا هذه السلسلة؟

شبابنا آمالنا ..

صيحة تنطلق من احترامنا لهذه الفترة العمرية من حياة الإنسان ، ولعل هذا الاحترام ينال مع المراحل النهائيـة السـابقة كل الاعتبـار؛ لأن مـرحلة الشباب من المراحل العمرية التى تتميز بالقابلية للنمو فى النواحى الجسمية والاجتماعية والنفسية والعقلية والتعليميـة ، إلى جانب القدرة على الابتكار والمشـاركة الفعـالة فى إحداث التغيير والتطوير فى المجتمع الذى يعيشـون بين جـوانبه ، لأن الشبـاب هم عماد الأمة ، وأسـاسها الراسخ الذى يقـوم عليه بنيانها .. فإن صلحـوا صلح البناء كله ، وإن فسدوا أو اهتزت قيمهم ضعف البناء ، حتى لقـد قيل فى أحـد الأقـوال المأثورة : « أمـة بلا شبـاب أقوياء هى أمة بلا مستقبل.. محكوم عليها بالفناء ! ».

ولما كـانت قضـايا الشبـاب من أهم القضـايا التى تهتم بها المجتمعـات الساعية إلى التقدم ؛ فقـد اهتمت « الدار المصرية اللبنانية » بإصدار سلسلة عن الشبـاب ليقرأهـا الشباب العـربى بنفسـه ، فيستطلع فيهـا أمور يومـه وغده، ويقف على مشـاكل حياته وقفة جد تنير له الطريق ، تعـرفه بما يجب عليه فعله ، وذلك من خلال هذه السلسلة « شبابنا آمالنا » .

وقد حرص محررو هذه السلسلة على أن تخاطب الشباب مباشرة وليس الآباء أو الأمهات أو المعلمين ، فضمنوها موضوعات تهم الشباب العربى

من المحيط إلى الخليج ، حيث إن الاهتمامات بين البيئة العربية واحدة تقريبا، وإن تباينت من بلد إلى آخر ! كما حرص محررو السلسلة على أن تناقش بعض القضايا التى تقترب معهم وبهم من الكمال النمائى ، إيمانا منهم بأن هذه المرحلة قد يظهر خلالها بعض الاضطرابات السلوكية ، وبعض جوانب التفاعلات الاجتماعية التى يظهر فيها القبول تارة ، والرفض تارة أخرى .. إلى جانب أنها فترة يظهر فيها - كذلك - جوانب الانتماء ، والمسئولية ، والعطاء ، إذا أعدت الإعداد السليم .. أو قد نرى فيها بعض الملامح السلوكية التى تجمح ببعض الشباب إلى طريق الاندفاع والثورة والرفض والتبرم والاعتراض ! لذا .. كانت المحاور الرئيسية التى تقوم عليها هذه السلسلة هى: الاهتمام بالجانب الثقافى المعرفى ، والجانب الأخلاقى الدينى ، والجانب النفسى الاجتماعى ، والجانب الرياضى الترويحى ، بالإضافة إلى الجانب الإعلامى الإرشادى ، وأخيرا الجانب التأهيلى المهنى .. وذلك من خلال دراسات وآراء كبار الأساتذة والمفكرين التى تقوّم قضايا ومشكلات الشباب من منظور أخلاقى ؛ حمايةً ووقايةً للشباب .

وإننا نقدم هذه السلسلة إيمانا منا بأن الشاب العربى الذى ينتسب إلى طائفة العاملين الجادين ؛ ينتسب بدوره إلى فئة الأبرار .. تلك التى تحرسها الملائكة لأنهم يعملون من أجل رفعة أوطانهم ، فتحفهم بدعوات صادقة ، وتحذرهم فى الوقت نفسه حين يتهددهم خطر الضلال الذى قد يضطرهم إلى القيام بكثير من الأعمال التى تنحرف بهم عن جادة الطريق .

.. والله الهادى إلى سواء السبيل ..،

مقدمة :

يشهد مجتمعنا العربى المعاصر تغيرات واسعة النطاق ، من حيث عمقها ، واتجاهاتها ، ونتائجها .

ومع نهاية الألفية الثانية بأحداثها ، وتطوراتها ، مر المجتمع العربى بتغيرات وتحولات اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وثقافية متعددة ، ظهر فى ظلها الكثير من المشكلات كنتاج لتأثيراتها المختلفة على المجتمع بعامة ، وانعكاس هذه التأثيرات على الشباب بخاصة ، باعتبارهم أكثر الفئات فى المجتمع ، معاناة، وتأثرا بنتائجها .

وليس من شك أن أكثر مايعنى به المشتغلون بالمسائل الاجتماعية هو كيف نستطيع أن نخضع هذا التغير لتوجيه يُسهم فى تحقيق مزيد من التقدم، والنماء ، والإشباع لحاجات الجماهير العريضة فى هذا المجتمع . ثم إن القضية الرئيسية الأخرى فى هذا المجال هى إلى أى حد يمكن لهذه التغيرات أن تجعل المجتمع العربى يخرج من الأزمات التى يعيشها ، وأكثر هذه الأزمات إلحاحا هى أزمة اللحاق بركب التقدم التكنولوجى والحضارى ، وأزمة التبعية .

والتساؤل الحاسم فى هذا الصدد مؤداه : من هم أولئك الذين تقع عليهم مسئولية تحمل أعباء الدور الطليعى فى عملية التغيير ، وإعادة البناء

التى يتطلبهـــا الخروج من هذه الأزمـــة ؟ إن الإجـــابة تنحصر فى أن جيل الشباب العربى هو الجيل المزوّد بإمكانيات المساهمة فى هذه العملية .

وهكذا تكتسب هذه الدراســة أهميتهـا ، من أنها تتجـه مبـاشرة إلى أهم عنصر فى عمليـة التنميـة الاجتماعية والاقتصـادية الشـاملة التى يحتـاجهـا مجتمعنا العـربى المعـاصر .. ألا وهو جيل الشبـاب الذى يمثل قـوة العمل الحقيقية ، والقادر على تجسيد إرادة التغيير .

والعلاقة بين الشباب العربى والسياق المجتمعى الأشمل هو محور هذه الدراسة . وإذا كانت الدراســة تركز على الشباب كمرحلة عمـرية حاسمة فيما يتصل بعلاقة الإنسان العربى بالواقع المجتمعى المحيط ، فإنها لا تهدف إلى عـــزل هذه المرحلة العمـــرية عن غيرهـا من مـــراحل النمـــو النفسى والاجتماعى ، وإنما تميـل إلى إبراز هذه المرحلـة العمـــــرية عن غيرهـا من مراحل النمو النفسى والاجتماعى .

وفى هذا الصـــدد .. نود أن نشير إلى حقيقـه مهمـــة مـؤداها أن مـرحلة الشباب لا تقل خطورة وتأثيرا فى التنشئة الاجتماعيـة الكلية للإنسان ، عن مـرحلة الطفولـة الباكـرة . فلقـد ساد الاعتقـاد لفترة طويلة بأن مـايحدث خلال مـرحلة الطفولة ـ وبخـاصة فى الخمس سنوات الأولى من الطفـولة المبكرة ـ إنما ينطوى على نتـائج حـاسمة بـالنسبة لمراحل النمـو اللاحقـة ، فـــذلك هـو أســـاس تكوين الشخصيـــة ، بـل إن كثيرا من الخبرات التى نكتسبها خلال هذه المرحلة المبكرة يتعـذر تماما التخلص من تأثيرها النافذ فى سمات الشخصية .

ومع تأكيـدنا لأهمية مـرحلة الطفـولة المبكرة ، إلا أن نتائج الدراســات

التى أجريت على مرحلة المراهقة والشباب ، قد مكنتنا من تعديل الكثير من افتراضاتنا الشائعة حول هذه المرحلة . فضلا عن أنها دفعتنا إلى تطوير إطارات نظرية ومنهجية فى هذا الميدان . **فليس من شك أن الخبرات التى نكتسبها ونكوّنها خلال مراحل عمرية أخرى ، تكون بالغة الأهمية ، وبخاصة فى مرحلة المراهقة والشباب الباكر ، وهى لا تقل أهمية عن مرحلة الطفولة** .. كما أن التكيف والتوافق ، الذى نحققه فى أثناء المراهقة يؤثر تأثيرا بالغا فى النضج الاجتماعى والنفس للأفراد ، وفى تنمية علاقة صحية بينهم وبين المجتمع ككل .

ولقد صاحب ذلك أيضا تغير فى طريقة تصورنا لمرحلة المراهقة والشباب ، فلم يعد هناك اهتمام بوصف هذه المرحلة فى ضوء مقولات استاتيكية بوصفها مرحلة فريدة أو مستقلة أو حتى مجموعة من المراحل الفرعية فى دورة الحياة ، إذ كشفت الشواهد الواقعية بوضوح أن هناك **فروقا فردية هائلة يتعرض لها الشباب** الذين ينتمون إلى مرحلة عمرية واحدة ، بحيث يكون من الأفضل أن ننظر إلى هذه المرحلة العمرية باعتبارها تمثل عملية انتقالية يمر خلالها الفرد من مرحلة الطفولة إلى المراهقة ، ليصل إلى النضج النفسى والاجتماعى.ومن المؤكد أنه خلال هذه العملية الانتقالية ، يتعرض الشاب لكثير من الضغوط العاطفية والنفسية والاجتماعية .. بعضها داخلى ، وبعضها الآخر خارجى مرتبط بثلة الأقران، والأسرة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية ، وبالمجتمع بصفة عامة، وأحيانا ما تعمل هذه القوى الخارجية على الإسراع بالانتقال إلى مرحلة النضج الاجتماعى والنفسى بمعدلات أسرع مما يفضله المرء ، وأحيانا أخرى ، تعوق هذه الضغوط إمكانيات تحقيق الاستقلال

والنضوج بالسرعة المطلوبة . ويمكن القول بعامة ، أن التفاعل بين القوى الداخلية والخارجية ، هو المسئول عن ضروب النجاح أو الفشل ، فى الانتقال بسلام إلى مرحلة النضج الاجتماعى والنفسى .

وقد قدمنا فى هذه الدراسة بعض الأطر الفكرية ، التى يمكن دراسة وتحليل أوضاع الشباب العربى من خلالها . وقد اعتمدنا فى ذلك على نتائج دراسات عربية سابقة عن الشباب ومواقفه من قضايا التنمية والتغير الاجتماعى فى الوطن العربى .

ونستطيع القول - بصفة مبدئية - أن من أخطر الأمور أن نستخدم منظومة فكرية تطورت فى ضوء ظروف مختلفة عن الظروف التى يعيشها الشباب العربى ، ذلك أن تلك المنظومة الفكرية سوف تعكس خصائص وسمات شبابية مختلفة عن تلك التى يتسم بها شبابنا العربى .

وجدير بالذكر .. أن الدراسات الحضارية المقارنة للشباب قد أعانتنا على تغيير كثير من المقولات النظرية الشائعة فى أدبيات هذا الميدان . فمن المسائل التى أصبحت مقبولة الآن ، أن الشباب لايرفض تماما رقابة الكبار - كما كانت تزعم الدراسات المبكرة ، وأنهم يشعرون بحاجة أكيدة إلى معاونة الكبار ، بل وممارسة السلطة عليهم شريطة أن يتحقق ذلك داخل إطار معقول لاينطوى على مبالغة أو تعسف فى استعمال الحق . وبالمثل كشفت الدراسات عن أن الأبناء يميلون إلى التوافق بشكل أفضل إذا تمت تنشئتهم فى مناخ يسمح لهم بأن يشاركوا فى عملية صنع القرار . على أن الشباب فضلا عن ذلك يسعى إلى المشاركة قدر المستطاع فى عالم الكبار ، وبخاصة فى عالم العمل . وهذه حقيقة مهمة كشفت عنها الدراسات

الحضارية المقارنة ، ويمكن الانطلاق منهـا لدعم برامج التنمية الاجتماعية والاقتصـادية فى الدول الناميـة بجهـود شبـابيـة على نحـو يحقق نوعـا من الإشباع أو الفائدة المزدوجة .

د . سـامية السـاعاتى

الفصل الأول

الشباب العربى
والتغير الاجتماعى
(المفهوم .. والأهمية)

الشباب ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة ، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعى ، والنفسى ، والبيولوجى واضحة . ويعدّ الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية تفاعلا مع التغير الحادث فى المجتمع .

وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها ، وفقا لعدد من المعايير .. وقد تلجأ - كما كان الأمر كذلك فى المجتمعات التقليدية - إلى طقوس معينة يتعين على الإنسان المرور خلالها كى يكتسب المكانة الاجتماعية التى يتمتع بها الشباب .

وكلما ازدادت المجتمعات تعقيدا وتركيبا وتباينا ، نتيجة للتطورات التى شهدتها النظم الاقتصادية والثورة الصناعية والإدارية ، تصبح عملية تحديد بداية مرحلة الشباب إحدى مظاهر التطور الاجتماعى ، وعاملا رئيسيا من عوامل تنمية الثقافة وتغيير المجتمع ككل ، إذ إن هذا التحديد مرتبط بالتغيرات التى طرأت على نظام التعليم فى المجتمع ، حين يتوقع المجتمع من الشباب الذى يحصل على قسط لا بأس به من التعليم الرسمى أن يقوم بدوره فى إحداث التغيرات الاجتماعية المرغوبة ، والتى تدفع بالمجتمع إلى مزيد من التقدم والنمو الاجتماعى .



● ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين نمو التكنولوجيا والتغير الاجتماعى .

والواقع أن التطور الذى طرأ على نظام التعليم كان من بين الأسباب الرئيسية التى جعلت الشباب يمثلون فئه اجتماعية لها وزنها فى المجتمع المعاصر . ويبدو ذلك واضحا من حجم الكتابات التى تتناول بالتحليل والعرض والتفسير أوضاع الشباب وأنماط سلوكهم ، ودورهم **فى التغيير الاجتماعى والسياسى** فى مختلف أنحاء العالم .[١]

إن الشباب بوصفهم يشكلون الغالبية العظمى من أعضاء المجتمع العربى ، هم الأساس الذى ينبنى عليه التقدم فى كافة مجالات الحياة ، فهم أكثر فئات المجتمع حيوية ، وقدرة ، ونشاطا ، وإصرارا على العمل والعطاء ، ولديهم الإحساس بالجديد ، وحب التجديد ، والرغبة الأكيدة فى التغيير ، مما يجعلهم أكثر قدرة على مواجهة مشكلات المستقبل ، وهذا فى حد ذاته مطلب أساسى للتطوير ، والتغيير .

ولذلك ، فإن دراسة الشباب بمعزل عن **الإطار الاجتماعى والاقتصادى العام الذى يكوّن هيكل المجتمع** ، تعد دراسة تفتقد التوجيه النظرى الصحيح ، الذى يقوم على ضرورة ربط الشباب بالبناء الاجتماعى والاقتصادى الأشمل . فحين ندرس الشباب فى إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، فلابد أن نربط بينهم وبين تيار التغير الاجتماعى فى المجتمع المتجه نحو دعم التطوير العلمى والتكنولوجى والثقافى ، وهذا التطوير يحتاج أساسا إلى المشاركة الإيجابية من الشباب ، تلك المشاركة التى تقوم بدورها ، على تدريبهم على إدراك مقومات التغيير واستيعابها ، فتكون شخصياتهم أكثر قدرة على الإنجاز .[٢]

على أن أهم ما يسهم به الشباب فى مسيرة التنمية والتحديث ، وهو ما يتمتعون به من قدرة **على الإبداع والابتكار** ، فالشباب يتطلع باستمرار إلى

تبنى ما هو جديد ، ومن ثم فهم مصدر من **مصادر التغير الاجتماعى** فى المجتمع . ومن الحقائق المعروفة أن كمال الثورة التكنولوجية هو أن يتحول شباب العمال من مجرد عمال تنفيذيين مقيدين بالروتين والنظام الدقيق للعمل ، أى مجرد توابع للآلة ، إلى عمال مبدعين قادرين على إيجاد حلول للمشكلات التى تواجههم فى أثناء أداء العمل ، وينطبق ذلك على الشباب فى كافة المجالات . ذلك أنهم أحوج ما يكونون إلى النظرة الإبداعية للعمل التى تنمى قدراتهم ، وإمكاناتهم العقلية . وتزداد أهمية الشباب إذا علمنا أنهم يمثلون قوة العمل الأساسية فى المجتمع . ومن ثم ينبغى دراسة اهتماماتهم ، وأنماط سلوكهم إذا أردنا تطوير نظام العمل والإنتاج فى المجتمع ككل .

وإطار المفاهيم الذى تتبناه الدراسات الموضوعية للشباب يستعين بمجموعة من الأدوات التصورية التى تناسب طبيعة هذه المرحلة العمرية، ولعل أهم هذه المفاهيم هى : المسئولية ، والمشاركة فى الإنتاج ، والحاجة إلى التغيير ، والتعبير عن الذات والابتكار والتجديد .[٣] إذ خلال هذه المفهومات نستطيع تشخيص مرحلة الشباب ، وفهم خصائصها ، والتعرف على الجوانب الإيجابية من سلوك الشباب . فمعظم الدراسات التى تناولت الأنماط السلوكية للشباب ، كانت تركز على النواحى السلبية المعتمة تركيزا واضحا ، ويتبدى ذلك بجلاء فى إطار المفاهيم الذى استعانت به تلك الدراسات مثل : مفهومات التمرد ، والعصيان ، والتوتر، والقلق ، والتحرر ، والاستقلال والاغتراب .

والواقع أننا لا نكاد نجد ميدانا تضافرت فيه جهود العلوم الاجتماعية ، لدراسة ظاهرة بعينها ، مثلما حدث فى ميدان الشباب ، فلقد اهتمت علوم النفس والانثروبولوجيا والاجتماع بهذه المرحلة اهتماما بالغا .

وقد حاول علماء الاجتماع أن يقدموا تصورا محددا لمعالجة قضايا الشباب فى صلتها بمشكلات المجتمع المعاصر ، واستطاعوا باستخدام مفاهيم التنمية ، والثقافة ، والمشاركة ، والاغتراب ، والثورة إلى الكشف عن الدور الذى يقوم به الشباب داخل البناء الاجتماعى للمجتمع المعاصر سواء فى المجتمعات المتقدمة أو الأقل تقدما .

والشيء الذى كشفت عنه هذه الدراسات وغيرها ، أن الشباب يشغل الآن مكانة رئيسية فى المجتمع ، وكذلك أوضاعه ، وثقافته ، وأنماط سلوكه، ومشاركته الاجتماعية هى ظواهر ينبغى أن تخضع للبحث العلمى الدقيق ، وأننا يجب ألا نتورط فى تبنى أطر فكرية مستوردة صنعت فى مجتمعات غربية لا تلائم تحليلنا **لقضايا الشباب فى مجتمعنا العربى ، الذى يعيش واقعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مختلفا إلى حد كبير** (٤) .

الاهتمام العلمى بدراسة الشباب :

هناك اهتمام معاصر بين فروع الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، بدراسة أوضاع الشباب ، واتجاهاتهم ، وأدوارهم ، وقيمهم . ويكاد هذا الاهتمام أن يكون « عالميا » ، إذ أصبح مفهوم الشباب يحظى بالعناية دراسة وتحليلا وتفسيرا فى المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ، على الرغم من اختلاف الإطار الذى يعالج منه قضايا الشباب وتباين الأدوار ، وتنوع المشكلات بتنوع السياق الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى تدرس منه الظواهر المتصلة بالشباب (٥) .

ولعل السبب الأساسى لمثل هذا الاهتمام العالمى بقضايا الشباب ، يرجع إلى ما يمثله الشباب من قوة للمجتمع ككل ، فهو يعد متميزا إذا ما

نظرنا إليــه فى ضـوء بنيــة المجتمع . كما أننا إذا نظرنا إلى الشبـاب « كفئه عمرية» سـوف نلاحظ على الفور أنها أكثر الفئات العمرية حيـوية وقدرة على العمل والنشـاط ، كما أنها هى « الفئة العمـرية » التى يكاد بناؤها النفسى والثقافى أن يكون مكتمـلا على نحو يمكنهـا من التكيف والتوافق والتفاعل والاندمـاج والمشاركة بأقصـى الطاقات التى يمكن أن تسهم فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته وإنجازها .

هذا فضـلا عما يتصف به الشبـاب مـن « مـرونة » إلى درجـة يمكن أن تكون عـونا أسـاسيـا فى عمليـات التكيف مع المواقـف التى تواجههم من جهة ، ودعامة قوية يعتمـد عليها المجتمع فى رسم سياسات استثمار جهود الشباب من أجل التنمية والبناء من جهة أخرى .

والواقع أن المكانة المعاصرة التى يشغلها الشبـاب فى المجتمعات كافة ، يمكن النظر إليهـا على أنها نتـاج للتغيرات الاجتماعيـة والسيـاسيـة والديمجـرافية والتعليميـة والتربوية التى شهـدها القـرن الماضى وبواكير القـرن الحالى .. وقـد أثرت المكانة التى يمثلهـا الشبـاب فى بناء المجتمع المعـاصر ، كما انعكسـت على بناء المجتمع ، وعلى طبيعـة العـلاقـات بين الأجيال ، ونوعيه هذه العلاقـات ومداها .. كما أن معدل التغير فى المجتمع وإيقـاعه ، إنما يتأثـرا تأثرا مباشرا بأوضـاع الشبـاب فى المجتمع وأدوارهم ووظائفهم المتعددة فى مختلف القطاعات .

ولعل ذلك يفسر اهتمام كل مـن الأكـاديميين ورجـال السيـاسـة على السواء ، بدراسة الشباب ، وتحليل العلاقة بين الشباب كظاهرة والمجتمع ، وذلك من أكثر من زاوية .

فهناك اهتمام بالظواهر العـديدة المشاهدة فى المجتمع المعـاصر والمرتبطة

بالشبـــــاب ، واتجاهاتهم ، وقيمهـم وثقـــــافتهم (Youth Culture) وسلوكيـاتهم السـائدة ، مثل : الحركـات الطلابيـة والسيـاسية للشبـاب ، ومختلف التعبيرات والقيم السائدة بينهم ، إلى جانب الثقـافات الانعزالية ، والسلوك الانحـرافى ، وكذلك مختلف نماذج الامتثـال والتكامل مع النسق القيمى السائد فى المجتمع .

ومن الظواهر الجديرة بالانتبـاه فى هذا الصـدد ، ظاهرة الرفض (Re-jection) والتى تتبدى فى رفض الشبـاب للمعايير ، والسلطة ، والتـوجيه الذى يمارسه الكبار . بل إن هذا الرفض أصبح يمثل موقفـا عاما موحدا ، يظهر بصـورة سافـرة فى مواقف عـديدة ، ومجتمعات مختلفـة .. من حيث درجة تقدمها الحضارى ، وطبيعة النظام السياسى السائد فيها .

لكن الشىء الذى ينبغى أن نشير إليه ، هـو أن ذلك الرفض الذى يظهر بين الشباب ، يرتبط بالظروف التـاريخية والاقتصادية والسياسيـة التى يمر بها المجتمع ، مثـال ذلك : أن الرفض الـذى يظهـر بين الشبـاب فى دول أوروبا وأمريكا مختلف فيما يتعلق بأسـاليب التعبير عنه ، ومحتواه ، وغاياته عن نماذج الرفض الأخـرى التى تصدر عـن الشباب فى أقطار عـديدة من البلاد النـامية . ويفسر ذلك إلى جـانب التفسير التاريخى الثقـافى ، فى ضوء الظروف الراهنة للمجتمع ، والنسق القيمى السائد فيه.

وتعـد أزمـة الهوية (Identity - Crisis) التى تنشأ من عـدم قـدرة الشباب على فهم ذواتهم « الجديدة » وتقبلها ، والتعـامل معها ، وهى أزمة يتـوقف على حلهـا ، استمـرار نضـوج الشخـص بشكل سـوى ، من أهم جوانب أزمة بدايات الشباب .

وهناك اهتمام عـالمى معاصر بالشبـاب ، على الرغم من اختـلاف الأطر

التى تعالج من خلالها قضاياهم ، وتنوع السياقات الاجتماعيه والاقتصادية التى تدرس فيهـا الظـواهر المتصله بهم ، ذلك أنهم [٦] مصـدر التجـديد والتغيير ، فهم عادة مايـرفعون لواء الحديث من السلوك والعمل .

■■■

الفصل الثانى

التغير الاجتماعى فى الوطن العربى وتأثيراته على الشباب

شهد الوطن العربى تغيرات وتحولات اجتماعية واسعة النطاق، وقد انعكست هذه التغيرات على مختلف مكونات البنية الاجتماعية والثقافية ، وكذلك على النواحى السكانية والعمرانية.

وقد تناولت دراسات التغير الاجتماعى فى الوطن العربى هذه الديناميات من جوانب عدة ، وبخاصة فى تأثيرها على الشباب ، يمكن إيجازها فيما يلى :

١ـ التغير الاجتماعى والتغير الثقافى :

الواقع أننا حينما نتحدث عن التغير الاجتماعى ، إنما نعنى بشكل أوضح التغير الثقافى ، بمعنى أن التغير الثقافى أوسع نطاقا من التغيرات فى البناء ، والوظيفة ، والتنظيم الاجتماعى . ونقصد بتلك التغيرات ، تلك التى تطرأ على كافة جوانب الحياة فى المجتمع ، ويتضمن ذلك الأسرة ، والدين ، والفن ، وقضاء وقت الفراغ ، والترويح ، والتكنولوجيا .. إلخ . وهذا النوع من التغييرات إنما ينطوى على درجة عالية من التساند والاعتماد المتبادل ، بمعنى أن التغير فى الجزء يؤدى إلى تغيرات فى البناء الكلى ، فاختراع السيارة ـ على سبيل المثال ـ قد أدى إلى تحول أساسى فى الصناعة كما أنه عمل أيضا على رفع معدلات الحراك الاجتماعى ، كما ارتبطت به أساليب جديدة للحياة ومعايير السلوك (٧) .

ويتبين مما سبق ، أننا حين نتحدث عن التغير الاجتماعى ، فإن ذلك يعنى تحولات جذرية فى نواحى الحياة المختلفة التى يعيشها الناس فى مجتمع ما .

٢ ـ اتجاهات التغير :

إن الزعم بأن التغير فى العالم العربى يسير فى اتجاه واحد ، هو اتجاه التقدم المستمر إلى ما هو أفضل ، لاتسانده حقائق علمية ، فلم يعد هناك من يعتقد بأن نظرية التقدم والتطور تصلح لتفسير اتجاهات التغير الاجتماعى ، وذلك نظرا لتعقد العوامل المرتبطه بالتغيرات الاجتماعية والثقافية .

ومع ذلك يمكن أن نقول إن هناك تيارا عاما أو اتجاها عاما يتمثل فى تزايد معدلات الانفتاح على العالم الخارجى ، أو ما نعبر عنه بالعولمة ، بمعنى تعدد شبكة علاقاته بالمجتمعات الأخرى . وهذا يجعل اتجاهات التغير الاجتماعى متباينة ، ويعكس بصور مختلفة نماذج التبعية التى يقع فى شباكها الوطن العربى ، مما يؤثر ـ ولاشك ـ على الشباب العربى ، وينعكس هذا التأثير فى تباين اتجاهات الشباب ، ونزعاتهم السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية المختلفة .

٣ ـ مصادر التغير الاجتماعى :

إن أول ما نفكر فيه ، فيما يتصل بمصادر التغير الاجتماعى ، فكرة الاكتشاف ، وفكرة الاختراع ، وبخاصة فيما يتعلق بدور التكنولوجيا والمخترعات الحديثة فى إحداث تغيرات تتعلق بوضع الشباب ، واتجاهاتهم ، ومواقفهم فى الوطن العربى .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن السيارة ، والتلفون ، والتلفون اللاسلكى ، والتلفون المحمول ، والتليفزيون ، والفيديو ، والفضائيات ، وشبكة المعلومات " Internet " تُحدث جميعها تأثيراتها المختلفة على الشباب فى الوطن العربى ، بدوله الفقيرة والغنية . إلا أننا لا نستطيع أن نزعم أن التكنولوجيا هى المؤثر الوحيد فى التغير الاجتماعى ، وإنما هناك محددات اجتماعية وثقافية للتكنولوجيا . فالقول بأن « الحاجة أم الاختراع » ، إنما يعنى أن هناك شروطا مسبقة تحفز إلى التغير التكنولوجى . ومن جهة أخرى ، فإن انتشار المعرفة الذى يعد عاملا ثقافيا ، يشجع التغير الاجتماعى ، ويعجل بحدوثه .. وبالمثل كثيرا ما ترجع مقاومة التغير أيضا إلى ظروف اجتماعية وثقافية .

فليس صحيحا ، إذن ، أن التقدم التكنولوجى وحده هو العامل الأساسى والوحيد المؤثر فى التغير الاجتماعى ، فالعوامل الاجتماعية والثقافية قد تؤثر أحيانا بطريقة مباشرة ، ولا تحتاج دائما إلى الإفصاح عن نفسها من خلال التكنولوجيا .إن القيم الاجتماعية ، والأيديولوجيات ، والحروب ، والقيادة الملهمة ، تلعب أدوارا مهمة فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى ، واتجاهات الشباب خلال العصور المختلفة ، وبدرجات متفاوتة .

٤ ـ معدلات التغير الاجتماعى :

التغير الاجتماعى ، ظاهرة عامة تحدث فى كل المجتمعات ، لكن مايهمنا هو معدل التغير ، وعمقه ، ومدى سرعته ، فكل العصور يعتورها التغير الاجتماعى ، لكن هناك عصور تتميز بالتغير الاجتماعى السريع ، وهذه تنطوى على نتائج عديدة تؤثر على الحياة الاجتماعية .



● ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين التكنولوجيا والتغير الاجتماعى .

ولا شك أن هناك ارتباطا واضحا بين نمو التكنولوجيا والتغير الاجتماعى ، كما أوضحنا آنفا ، لكن التغير السريع يفرض مطالب على الناس من أجل التكيف والتوافق إذا ما قورن بالتغير البطىء ، أو التدريجى. فمن الضرورى أولا ، أن نتكيف مع وقائع الوجود المادى المتغير ، ويتطلب ذلك أن نتعلم كيف نتعايش مع الحياة الحضرية الحديثة بما تفرضه من أوضاع وما يصاحبها من أنظمة أصبحت جزءا من البيئة الطبيعية المحيطة بنا . فالضوضاء ، والمنافسة ، ووسائل الإعلام ، والازدحام ، وعادم السيارات .. إلخ ، كلها من البيئة الطبيعية المتغيرة التى علينا أن نتعلم كيف نتوافق معها .

ومن الأهمية ثانيا بمكان ، أن نتعلم القواعد الجديدة التى تحكم مواقف لم تكن لدينا خبرة سابقة بها ، ذلك أننا قد اعتدنا أن نتبع ، ونساير الأنماط المعيارية التى تطورت فى مجتمعنا دون تفكير ، ومن ثم يخلق التغير الاجتماعى السريع مواقف اجتماعية تحتاج إلى تطوير قواعد ومعايير جديدة علينا أن نتعلمها ، وهكذا يؤثر هذا النوع من التغيرات فى النظام الأخلاقى الذى يفقد جزءا من صلاحيته للتعامل فى المواقف الجديدة [٨] .

ومن الضرورى ، ثالثا ، أن نكتسب أدوارا جديدة فى عصر التغير الاجتماعى السريع ،فالمراكز الاجتماعية التى يشغلها الناس ، والأدوار أو الإنماط السلوكية المتوقعة منهم تتغير ، مما يفرض ضرورة اكتساب أدوار جديدة . ففى حالات الاستقرار النسبى أو التغير التدريجى يعلم المرء على وجه الدقة موقعه من شبكة العلاقات الاجتماعية ، ولكن حين تزيد معدلات التغير الاجتماعى، فإنه يصبح من اللازم إعادة النظر فى التعريفات القديمة للمراكز ، والأوضاع ، والأدوار الاجتماعية . فالأدوار

التى كـان يلعبهـا الأب فى الأسرة التقليدية تغيرت ، وبخـاصـة فيما يتعلق بأبنائه . وبعبـارة أخرى ، فإذا كـان التغير الاجتماعى يعمل على تعديل قيم المجتمع ، فإن التغير السريع يعجل من هذه التعديلات .

والمجتمع العـربى ـ على سبيل المثال ـ على الرغم من أنه يشهـد تغيرات واسعة النطاق فى مختلف أقطاره ، إلا أن هناك عناصر للوحدة والاستمرار تربط ماضيه بحاضره ، وتحقق التواصل بين الأجيـال . فالشخصية القومية العـربيـــة التى هى نتـاج لتماثـل التـاريخ ، واللغـــة ، والعقيـدة ، والتراث الاجتماعى الثقافى ، هى دليل على استمرار هذا التواصل بين الأجيال .

وتعـد فترة الشبـاب أكثـر مـراحل العمـــر تأثرا بالتغيرات الاجتماعيـة السريعـــة ، التى تطرح اختيـارات عـــديدة فيما يتعلق بالالتـــزام بالحاضر والمستقبل . كما أن هـذه التغيرات تعمل على وضع الشبـــاب فى مـــوقع يشعـرهم بأن المجتمـع الذى ينتمـون إليـه ، لا يمنحهم التـــوجيـه الملائم للاختيـار السليم ، وذلك نتـاج لتغير البناء المعيـارى ، وغمـوض الأدوار الجديدة ، وارتفـاع معدلات الحراك الاجتماعـى والجغرافى ، والتحـولات التى تطرأ على سلطـة الكبـــار بعـــد أن أصبحت خبراتهم غير مـــلائمـــة للمـواقـف الجديدة ، إلى جـانب المكـانة التى أصبح يشغلهـــا الشبـاب فى المجتمع المتغير (٩) .

هذا ، على الرغم مـن تعـاظم المكانـة التى أصبح يشغلهـا الشبـــاب فى المجتمع الحديث ، فإن الفـــرص التى يمنحهـا هذا المجتمـع للشبـاب كى يثبتوا ذواتهم ، ويؤكدوا نضجهم الاجتماعى محدودة بشكل ملحوظ .

ومن اللافت للنظر أن الشبـــاب هم أكثـر فئات المجتمع تأثـرا بنتـائج

التغيرات الاجتماعية السريعة ، وبخاصة العلاقة بين الأجيال . فهذه التغيرات تخلق تناقضا بين الأجيال المختلفة ، فهى عادة ما تكمن وراء الصراعات بين جيل الشباب من جهة ، وجيل الكبار من جهة أخرى ، الذى غالبا ما يتجه إلى المحافظة على الأوضاع القائمة ، وهو يرفض أو يعارض كل ما هو جديد ، فى حين يشجع جيل الشباب النتائج المصاحبة للتغيرات الاجتماعية .

وربما تفسر لنا هذه الصراعات أيضا ما يعانيه شباب العصر من مشكلات يشخصها الكبار على أنها تعنى الانحراف ، أو الاغتراب ، أو الرفض .. لأن الأنماط السلوكية التى تعبر عن هذه الحالات ، هى أنماط خارجة عما اصطلح عليه المجتمع ، وبخاصة « مجتمع الكبار » من مواصفات .

٥ ـ التغير الاجتماعى ، وتوجيه الشباب :

إن التغيرات ، التى انطوى عليها العالم اليوم ، قد شملت مناحى الحياة الاجتماعية كافة ، مما جعل المتخصصين فى العلوم الاجتماعية يواجهون مهمة رئيسية ، ألا وهى مساعدة الشباب على اكتشاف دورهم فى البيئة المحيطة بهم ، وأداء هذا الدور على أعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية . كما كان عليهم أيضا أن يقدموا للشباب الأسس المدروسة التى يستطيعون وفقا لها اتخاذ ماهو ملائم ومناسب من القرارات خلال حياتهم اليومية . وتبدو أهمية هذه المهمة وحيويتها ، حين الأخذ فى الاعتبار تلك الدينامية الهائلة التى يشهدها المجتمع المعاصر ، واالتى تتمثل فى عمق التغير الاجتماعى ، وزيادة تعقد الحياة الاجتماعية ، بتنوع الظواهر التى نتعامل

معها يوميا ، وتباين العلاقات الاجتماعية التى تنشأ بين الناس .. هذا فضلا عن شـــدة تطور تقسيم العمل ، وازدياد معـــدلات الاعتماد المتبـادل ، والمتساند بين مختلف الأعمال.

ومن بين العناصر البنائيــة الرئيسيـة التى يتألف منهـا نسـق التـوجيـه الاجتماعى للشبـــاب فى المجتمع الحديث ، ونظرة الشبـــاب للمستقبل ، وتصورهم لنسق القيم الملائم لمستوى التقدم الاجتماعى .

■■■

الفصل الثالث

الشباب العربى
فى المجتمع المعاصر
الأدوار والمكانة

يحظى الدور الذى يقوم به الشباب فى المجتمع منذ القدم بعناية فائقة . والأمر الملاحظ هو ما أصبح يتميز به الشباب من موقف حاسم يتسم بالتأثير الفعال فى نظم المجتمع المعاصر ككل ، بحيث أصبح الاهتمام بقضايا الشباب يعبر عن اهتمام بمستقبل المجتمع الإنسانى ذاته . وتثير ذلك ـ بالطبع ـ مشكلة التفاوت والصدام بين القديم والحديث . وليس من شك أن حجم هذا الصدام وعمقه على مدار التاريخ يختلف نتيجة لعوامل متعددة أهمها :

التركيب الاجتماعى ، والاقتصادى ، والمعتقدات الأيديولوجية والسياسية السائدة فى مرحلة بعينها . ولهذا اختلف المنظور الذى عولجت من خلاله قضايا الشباب ومشكلاته ، باختلاف المراحل التاريخية .

وعند الحديث عن مكانة الشباب فى المجتمع العربى المعاصر لابد من الاهتمام بعدة اعتبارات يمكن تلخيصها كالتالى :

أولا : العلاقة بين التطور الذى طرأ على دور الشباب فى الحياة الاقتصادية للمجتمع ، وفرص التعليم المتاحة أمامهم . وهناك ارتباط ملموس بين الدور الاقتصادى وفرص التعليم من جهة ، وما يتمتع به الشباب من قوة اجتماعية من جهة أخرى . كما أن اعتبار الشباب جزءا أساسيا من قوة العمل الاقتصادية ، يزيد من قدرتهم فى



● إن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الذى يعيش فيه ليس نتاج نشاطه فحسب ، بل نتاج أنشطة قامت بها وتحملت مسئوليتها الأجيال السابقة.

المجتمع . كـــذلك فإن إخــــراجهم أو استبعـــادهم من المجـــال الاقتصادى ، نتيجة للتعليم الرسمى يضعف من هذه القوة . وعلينا أن نضع فى اعتبارنا تعـاظم الدور المؤثر للطلاب فى المجتمع المعاصر حيث أصبحوا يشكلون قوة ضاغطة كبيرة .

ثانيا : يتجه الشبـاب بحكم تكوينهم النفسى والاجتماعى إلى رفض بعض المعايير والتـوجيهات والسلطة التى يمارسهـا الكبار ، وقـد يتخذون مـوقفـا مغـايرا . ومن الملاحـظ أن هناك محتـوى مثـاليـا للذات الاجتماعيـة عند الشبـاب ينتج مبـاشرة عن التربيـة والتنشئة التى تلقاها. هناك أيضا مـا يمكن وصفه بالمحتوى الواقعى للذات الذى غالبا ما لا يكون واضحا تمام الوضوح عند الشباب . وهذا التناقض ما بين الـذات المثالية والذات الـواقعية يؤدى إلى عـدم الاستقرار فى شخصيـة الشبـاب . وينبغى أن نأخـذ فى اعتبـارنا ذلك الافتراض القـائل بـأن رفض الشبـاب لقيم ومعـايير الكبـار هو ظاهرة يتعين دراستهـا من زوايا متعـددة . ويجب فى الوقت ذاته دراسـة اتجاهات الكبار إزاء قيم الشباب ومدى رفضهم أو قبولهم لها .

ثالثا : يعبر الشباب فى المجتمع عن تلـك الفئة التى تتسم بدرجة عـالية من النشاط والحيوية والديناميـة المتفردة . غير أن الشباب عادة لا يدرك أن الوسط الاجتماعى المحيط به ليس نتاج نشـاطه فحسب ، بل نتاج أنشطة قـامت بها وتحملت مسئوليتها الأجيـال السابقـة . ولعل هذه الظاهرة هـى المسئولة عن صراعـات وتناقضـات بين الأسـاليب التقليـدية للحيـاة ، والأسـاليب الجديدة التى يسعى الشبـاب إلى توكيـدها . ومـواجهـة هـذا الموقف لا تكون إلا بالممارسـة العمليـة

والمشاركة البناءة ، وإتاحة الفرص أمام الشباب لإقامة العلاقات الاجتماعية المنتجة والإيجابية وعلى الكبار بذل جهد أكبر لتوجيه الشباب ونقل خبراتهم ومعارفهم إليهم على نحو يمكنهم من استيعابها وتقويمها ، وذلك سعيا إلى استغلال طاقاتهم واستثمارها لصالح المجتمع .

رابعا : تكمن أهمية الشباب فى كونهم الفئة الأكثر رغبة فى التجديد والتطلع إلى الحديث ، ولذلك يمثلون مصدرا أساسيا من مصادر التغيير فى المجتمع . ولابد أن يؤخذ فى الاعتبار كيفية استيعاب هذه الرغبة فى التغيير والتجديد دون إحداث تناقضات أو صراعات حادة .

خامسا : يميل الشباب فى كافة المجتمعات إلى تطوير نسق ثقافى خاص بهم ويعبر عن مصالحهم واحتياجاتهم ورغبتهم فى التغيير والتجديد . ولاينبغى للمجتمع أن يقف موقف العداء من هذا النسق الثقافى . وهنا تبرز مهمة ضرورة دعم التكامل الثقافى العام دون ما تفرقة بين ثقافات الشباب والثقافات السائدة فى المجتمع ، ويتأتى ذلك من خلال ربط الأجيال وإبراز أدوار محددة تسهم فى تدعيم تنمية المجتمع وتطويره . وهذا يرتبط بتدعيم منظومة القيم والمعانى الأخلاقية الحامية للمجتمع من التفكك بين أفراده والضامنة لعدم ظهور ثقافة مضادة للشباب التى تعكس أزمات ناجمة عن انهيار التكامل الاجتماعى بسبب التغييرات الاجتماعية والتكنولوجية فى المجتمع المعاصر .

سادسا: إن انهيار التكامل الاجتماعى ، وتفكك المجتمع ، يحدث ما لم

يلتفت المجتمع إلى أن من واجبه استيعاب تحركات الشباب باعتبارها نقطة انطلاق لتغيير السائد تغييرا جذريا . فثورة الشباب التى تبدو واضحة فى كثير من المجتمعات هى علامة ومؤشر على انهيار الثقافة السائدة . لذلك يجب أن نضع فى اعتبارنا ونحن نسعى إلى إقامة هيكل ثقافى مناسب ، أهداف الشباب واحتياجاتهم ووضوح المستقبل أمامهم من خلال تدعيم مشاركتهم فى الحياة العامة .

سابعا : حتمية العمل بكل السبل من أجل دعم انتماء الشباب للنظم الاجتماعية القائمة فى المجتمع فى سياق يمكن معه الإفادة من طاقاتهم فى التجديد والتغيير دون انهيارات كيفية تصيب بناءه . إن افتقار الشباب إلى الانتماء ، أو شعورهم بالاستبعاد ، يمكن أن يكون مصدرا رئيسيا وراء التمرد الذى يعبر عنه الشباب بصور مختلفة تكون فى الغالب غير وظيفية . ولهذا فدعم الانتماء يحوِّل الشباب إلى قوة للإصلاح الاجتماعى والسياسى .

ثامنا : ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا ما يمكن أن ينجم عن سرعة معدلات التغير الاجتماعى من تزايد إحساس الشباب بالاغتراب واللامبالاة بالتيارات الرئيسية للحياة العامة ، ذلك أن سرعة تلك المعدلات تفصل الحاضر عن الماضى ، وتجعل المستقبل بعيدا عنهما أيضا ، وتعزل الشباب عن الكبار ، وتعزل الشباب أيضا عن العديد من المواقف التاريخية فى المجتمع .

تاسعا : يرتبط انعدام الانتماء بين الشباب ارتباطا وثيقا ، بعدم قدرتهم على اتخاذ الآباء قدوة ملائمة لسلوكهم . وهذا يرتبط غالبا بما يوجد من

صراع وتوتر بين قيم الآباء وقيم الأبناء . غير أن هذا الصراع ينبغى أن لا يرقى إلى مرتبة الصراع الاجتماعى . إن الشباب يسعى إلى الاستقلال من أجل مزيد من الحراك الاجتماعى ، والمجتمع عليه أن يهيئ نظامه التربوى ، لترشيد هذا الاستقلال فى اتجاه يحقق طموحات الشباب ، ويجعل منهم طاقة نافعة لبناء المجتمع .

عاشرا : ينبغى أن يكون النظام السياسى القائم من الحزم والحكمة بدرجة يستطيع معها أن يجنب الشباب ما قد يتعرض له من أخطار اجتماعية ونفسية ، وذلك بدعم روح الجماعة والتعاون ، وتعميق الروابط الإنسانية بين الشباب والكبار ، وتوفير المناخ الملائم لنمو الطاقات الخلاقة عند الشباب ، وحمايتهم من مخاطر اليأس والضياع ، وتوفير مناخ السلام الاجتماعى ، ووضع استراتيجية ملائمة للإفادة من الشباب وما يعبرون عنه ونقدهم للأوضاع القائمة دون قمع .

كذلك فقد يسعى النظام السياسى إلى جذب الشباب بعيدا عن دوائر النضال الاجتماعى ، أو الاقتصادى ، أو القضايا السياسية . وهنا مكمن خطر كبير لأن هذا العزل يكون مصدر قلق وتوتر . وهنا تبرز أهمية وضرورة اندماج الشباب فى الحياة العامة كعامل استقرار وتكامل .

تلك هى الاعتبارات العشر التى لابد من الأخذ بها عند تناول مكانة الشباب فى المجتمع العربى المعاصر . أما الأدوار الاجتماعية للشباب فهى تمثل أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الذى هو ، بهيئاته ومنظماته المختلفة ، المسئول إلى حد بعيد عن دعم هذه الأدوار . والدور يمكن تعريفه على أنه

السلوك المتوقع من شخص ما ، ولكل دور متطلباته وخصائصه . والدور فى نظرنا هو مجموعة مواصفات تحدد ما ينبغى أن يفعله الشخص على مستوى المجموعة الصغيرة أو المجتمع الكبير . وهذه المواصفات قد يضعها للشخص المجموعة الصغيرة ، أو قد يحددها له المجتمع الكبير فى شكل معايير وقيم ، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه ، متخذا فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه عن متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين (١١) .

والشباب كفئة رئيسية من فئات المجتمع لهم أدوار متنوعة شكلت اهتمام المجتمعات المختلفة قديما وحديثا . والبحث فى أدوار الشباب بحث بالغ التعقيد ومتعدد الجوانب . وهذا اللون من البحوث بحاجة ماسة إلى مداخل منهجية متعددة ومتغيرة وفقا لتباين الأوضاع الاجتماعية . ومن الملاحظ مثلا أن أشكال التوجيه الاجتماعى والمهنى للشباب ، أكثر فئات المجتمع اتصالا بمستقبله ، تتغير بتغير الصراعات الأيديولوجية والقيمية ، مما يؤثر على أساليب الشباب وتحركاتهم ومواقفهم من القضايا الرئيسية المتصلة بمراحل النمو الاجتماعى التى يمر بها المجتمع.

وتشمل المكونات الرئيسية للمنظومة الاجتماعية التى تسهم فى تشكيل الأدوار الاجتماعية للشباب ودعمها على : الأسر ، المدرسة ، تنظيمات الشباب ، الأنشطة الاجتماعية المختلفة ، الأدب والفن ووسائل الإعلام ، الأحزاب السياسية ، وغير ذلك من مؤسسات اجتماعية تؤدى وظائف محددة من أجل استمرار المجتمع فى الوجود والحفاظ على توازنه .

ويختلف الدور الذى تلعبه هذا المؤسسات ، وتختلف أهميته النسبية ، باختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية التى تمر بها وطبيعة النظام



● كانت الغالبية العظمى من أبناء العمال والفلاحين لاتتاح لها حتى فرصة الحصول على قدر من التعليم الأولى .

السياسى والأيديولوجى السائد فى كل منها .. فالمؤسسات التعليمية ـ على سبيل المثال ـ أصبحت تلعب فى المجتمع العربى المعاصر دورا بارزا حل محل كثير من الأدوار التى كانت تؤديها الأسرة فى عهود ماضية . ولا يمكن أن نقارن بين الدور الذى يلعبه التعليم الآن ودوره فى الماضى . فهو يلعب الآن دورا حاسما فعالا بالنسبة لأبناء مختلف طبقات المجتمع فى الريف والحضر على السواء . بينما تحدثنا كتب التاريخ أنه ـ وحتى القرن التاسع عشر ـ كانت الغالبية العظمى من أبناء العمال والفلاحين لاتتاح لها حتى فرصة الحصول على قدر من التعليم الأولى (١٢) .

وتهدف مؤسسات المجتمع ، التى أشرنا إليها ، إلى دعم الأدوار الاجتماعية للشباب من أجل تشكيل شخصياتهم وإعدادهم لكى يكونوا أعضاء إيجابيين فى المجتمع ، يستطيعون التعامل مع النظم السائدة فيه كافة من خلال نظام تربوى هدفه الأساسى إعداد الإنسان من أجل الحياة . ومن هذا المنظور يمكن للشباب أن يكتسب كل ما نريد أن نزوده به من معلومات . وفى هذا السياق يلعب النظام التعليمى دورا رئيسيا فى توجيهه، وذلك عندما يتم التأكيد على الكيف أكثر من الكم ، وعندما ندرس العلوم المختلفة كعلوم عامة ذات صلة بمشكلات الحياة اليومية ، وقدرات الشباب وتأهيلهم لتحمل أدوارهم ومسئولياتهم فى بناء المجتمع وتحقيق أهدافه .. عندما يلعب النظام التعليمى دوره فى هذا الإطار ، وبهذا المفهوم ، فإنه يجعل من قضية العلاقة بين الشباب والمجتمع قضية مركزية .

ويعد تدريب الشباب على اكتساب الأدوار الاجتماعية مسألة بالغة الصعوبة . ويفسر البعض هذه الصعوبة بازدياد أعداد الشباب بالنظر إلى معدل السكان فى العالم . لكننا إذا نظرنا إلى الشباب على أنهم يمثلون

مرحلة الانتقال مـن الطفولة والتبعية إلى الرشد والاستقـلالية والمسئولية ، سنجـد أن المشكلة ليست مجرد مشكلة سيكولوجيـة بيـولوجيـة ، ولكنهـا ذات طبيعه اجتماعية تاريخية أساسا . فمضمون مرحلة الشباب وحدودهما يختلفان باختلاف المجتمعات .

إن الاستعـراض التـاريخى للمـؤسسـات التى تسهم فى دعم الأدوار الاجتماعيـة للشبـاب ، يكشف بوضـوح عـن ديناميـات عمليـات التنشئة والتوجيه والتربية وأهدافها المتغيرة بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسيـة . كما أن التحليل التاريخى لعملية اكتسـاب الأدوار الاجتماعية ضرورى لفهم مرحلة الشباب ومـا طرأ عليها من تغيرات معاصرة نتجت عن التغير البنائى الواسع النطاق الذى شهده المجتمع المعاصر .

وتعـد الأسرة من أهم النظم الاجتماعيـة المؤثرة فى اكتسـاب الشبـاب لأدوارهم الاجتماعيـة . وعلى الرغم ممـا يقـال من أن تأثير الأسرة أخـذ فى التلاشى بعد أن حلت محلها مـؤسسات تربوية أخرى ، فإن الأسرة ستظل الخلية الأولى التى تلعـب الدورالحاسم فى تكوين أهم مقومـات الشخصية ألا وهو الضمير الإنسـانى . لقـد تغير بناء الأسرة العـربية عما كـان عليـه قديما، وتغيرت أيضا وظائفها ، وانعكس ذلك بالطبع على طبيعة العلاقات بين أعضائها ، إذ لم يعد الدور التقليـدى للأب هو الدور نفسه السائد الآن كصاحب السلطة المطلقة . تلك السلطة التى حل محلها التوجيه القائم على التفاهم والإقناع . لقد أصبحت العلاقـات بين الآباء والأبناء أكثر إنسانية وأكثردفئا . فنحن نتحـدث عن السلطة الأخلاقيـة للآباء ، والتى تحتاج إلى قدرة خاصة للاحتفاظ بها ، ولجعلهـا وظيفية فى توجيه الأبناء وإرشادهم . وإذا كـانت الأسرة ذات دور حاسم خـلال مرحلة الطفـولة المبكرة ، فإننا

نعتقد أنها تلعب الدور نفسه خلال مرحلة المراهقة والشباب ، ومن ثم يذهب كثير من الدارسين إلى أنه يجب توجيه الآباء أنفسهم على نحو يمكنهم من أداء أدوارهم خلال هذه المرحلة التى تحتاج إلى مهارات خاصة يتعين أن تتوافر عند الآباء .

بعد الأسرة تأتى المدرسة التى تعد أول نظام للتنشئة الاجتماعية للفرد . وهناك مشكلات تواجه المدرسة فى أداء هذا الدور . ومن الملاحظ أن التلاميذ اليوم يحصلون على المعلومات من مصادر متباينة ومتنوعة ليس للمدرسة أى سلطان أو رقابة عليها. كما لم يعد المعلم ـ فى الوقت ذاته ـ هو المصدر الوحيد للمعرفة ، بل إنه فى كثير من الحالات لا يستطيع أن يكون فى نظر المتفوقين من تلاميذه المثل الذى يجب أن يحتذى ، وهذا يشكل تحديا كبيرا أمام المدرسة لكى تصبح بؤرة الاهتمام الثقافى لتلاميذ المدارس الذين يخضعون لتأثيرات مختلف وسائل الإعلام من إذاعة مسموعة أو مرئية أو فضائيات وشبكات معلومات الإنترنت ، إضافة إلى غير ذلك من وسائل كالكتب والمجلات والمطبوعات.

وثمة عامل آخر يؤثر فى اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية ، ويؤثر تأثيرا بالغا فى التكوين النفسى للشباب ، وهو العلاقات الاجتماعية التلقائيه داخل جماعات الرفاق ، تلك العلاقات التى لم يكن لها أدنى دور فى نظام العائلة المُغْلَقَة . ولقد تغير الموقف تماما فى عالم اليوم حيث أصبحت العلاقات الاجتماعية التلقائية ، وجماعة الرفاق الأولية ، تلعب دورا رئيسيا فى عملية التربية والتدريب الاجتماعى ، وبخاصة فى المراحل المبكرة من الطفولة ، أكثر بكثير مما مضى كما ونوعا . واتسع نطاق هذه



● ينبغى أن نهتم بدراسة جماعات الصداقة التلقائية والأدوار التى تقوم بها.

الجماعات التى تبدأ من جماعات الأطفال لتشمل عددا من المنظمات والجمعيات غير الرسمية والأندية والروابط التى مهمتها تنمية الروح الاجتماعية ، وبخاصة بين الشباب . وتتضح أهمية هذه الجماعات ودورها فى تشكيل اتجاهات وقيم الشباب وسلوكهم من خلال ما كشفت عنه نتائج الدراسات التى تناولت طرق وأنماط تمضية أوقات الفراغ بين الشباب . فقد اتضح أن أعلى نسبة من الشباب يفضلون قضاء أوقات فراغهم خارج المنزل . كما أن نسبة عالية منهم يفضلون قضاء وقت فراغهم فى هوايات مشتركة مع رفاقهم . ولعل هذه الحقائق هى التى دفعت علماء الاجتماع والمهتمين بقضايا الشباب إلى صياغة مفهوم ثقافة الشباب الذى يعبر عن مجموعة القيم والمستويات السلوكية التى يكوّنها الشباب ، وتمثل ثقافة فرعية متميزة داخل الثقافة الأكبر . وفوق ذلك ، فإن جماعات الشباب ذات الثقافة الخاصة تنطوى هى الأخرى على محددات متعارف عليها بين أعضائها للمكانة الاجتماعية ومقاييس للهيبة ومعايير للقيادة . وتتسم هذه الثقافة بالتنوع والتباين باختلاف الوسط الاجتماعى الذى تنشأ فيه (١٤) .

هكذا يتعين أن نهتم بدراسة جماعات الصداقة التلقائية والأدوار التى تقوم بها . كما يجب التمييز بدقة وعناية بين جماعات الشباب المنظمة التى يوجهها ويقودها الكبار ، وهذه الجماعات غير الرسمية التى تتألف تلقائيا بحيث نهتم بتنمية وتطوير تلك النوعية من الجماعات الشبابية ذات الصفات الإيجابية .

يأتى بعد ذلك الانتشار الهائل لوسائل الإعلام والدور الذى تلعبه فى المجتمع الحديث فى اكتساب الشباب لأدوارهم الاجتماعية الوظيفية . فقد

ترتب على هذا الانتشار نتيجة مهمة تتعلق باستقلالية الشباب عن آبائهم ومعلميهم ، وذلك بوصف وسائل الإعلام مصدرا للمعلومات متاحا ومتوافرا لشباب العالم أجمع . مع ملاحظة أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تواجه المتطلبات والاهتمامات المتباينة للأفراد كافة من مختلف الأعمار ، إضافة إلى حقيقة مؤداها : أن « الكبار » هم الذين لا يزالون يحددون محتوى وشكل المادة الإعلامية . لذلك وجب ترشيد السياسة الإعلامية فى المجتمع العربى فيما يتصل بالشباب ، وعلى نحو يوفر لهم معرفة صحيحة ليبث الإعلام فيهم القيم الإيجابية ، التى تدعو إلى التكامل وتحث على فاعلية المشاركة بوصفهم القوة البشرية الكبرى فى المجتمع (١٥) .

إن كل العوامل التى عرضنا لها فيما سبق تتكامل وتتساند وظيفيا فى أداء دورها من أجل تنمية شخصية الشباب العربى . وبقدر ما يستند هذا التكامل والتساند إلى أسس علمية ، بقدر ما تنجح تلك العوامل فى أداء دورها نحو اكتساب الشباب أدوارا اجتماعية فعالة دون صراعات سلبية .

■■■

الفصل الرابع

الشباب العربى والغزو الثقافى

الأمر الذى ينبغى الانتباه إليه بخصوص مرحلة الشباب التى تبرز شخصياتهم فيها وتتبلور معالمها الأساسية ، هو أن هذه المرحلة - على أهميتها وخطرها - ليست مستقلة بذاتها ، وإنما هى حلقة كبيرة متينة فى سلسلة الحياة المتطورة لكل فرد . فهى تالية لمرحلة قصيرة المدى نسبيا ، ولكنها محددة المعالم ، صغيرة الحلقات ، وهى الطفولة ، واليفوعة ، والغلومة ، والمراهقة ، والبلوغ . ولكل مرحلة من هذه المراحل سماتها وخصائصها العضوية والنفسية والاجتماعية ، التى تعد فى مجموعها أساسا للمراحل التالية لها ، يعتمد عليها امتدادها ونماؤها وتبلورها ، وسويتها أو انحرافها . كما أن كل مرحلة أساس لما يليها من مراحل وبخاصة المرحلة التالية لها مباشرة ، فكذلك تكون كل مرحلة بدورها نتاج المراحل المتقدمة عليها ، وبخاصة المرحلة التى تسبقها مباشرة . حتى مرحلة الطفولة التى يتدرج فيها الطفل رضيعا ففطيما فحضينا ، تتأثر بالمرحلة الجنينية التى ينمو فيها الكائن من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى عظام مكسوة لحما إلى جنين مكتمل النمو فى البيئة الرحمية ، وقد تأثر عضويا ونفسيا ، وحتى اجتماعيا كما أثبتت البحوث الحديثة بأمه الحامل به وأحوالها العضوية والنفسية والاجتماعية ، وما يحيط بها من بيئة ذات واقع اجتماعى له خصائصه التى تترك بصماتها على الكائن البشرى جنينا ، ثم بأشكال خاصة



● الثقافة كإصطلاح علم اجتماعى هى كل مدخلات عقول الأفراد فى المجتمع .

أكثر تغلغلا وعمقـا فى مرحلة الطفولة والمراحل الأخـرى التالية لها ، بما فى ذلك مرحلة الشبـاب فمرحلة الرجـولة التالية لها ، التى يتـوق الشباب إلى اجتياز عتبتها والاندماج مع أفرادها .

والقـاسم المشترك فى **تشخصن الفـرد وتطوره من النطفـة الكيـانيـة إلى إنسـان عـاقل مفكر متفـاعل** ، وفق قيم اجتماعيـة تحدد سلوكـه فى أشكال معينة من العـادات الاجتماعية التـى تصبح أعرافـا وتقـاليد وبدعـا وآدابا شعبيـــة عـامـــة ، ذلك القـاسم المشترك هـو التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعيـة المقصـودة والمصـاحبة فى محيط الأسرة ، ومجمـوعـة الأقـران ، والجماعات التعليمية ، مـدرسة كانت أو معهدا أو كلية فى جـامعة ، وزمرة الرفـاق فى العمل ، والجماعة الترفيهية ، وجماعـة القرية فى الريـف أو جماعة الحى فى الحضر ، وبخـاصة الجيران فيهـا ، ثم المجتمع بوجه عـام ، ممثل فى وسـائـل الإعـلام فيـه من الإذاعـــة ، والتلفـزة ، والصحـافـــة ، ومختلف المطبـوعات ، وشتى أشكال الإنتـاج الأدبى والفنى ، من مـوسيقى ورسم وتصـوير ونحت وتجميل . ولكل منهـا منفـردة ، كما لها كلهـا فى جملتهـا ، تأثيرات عميقـة ذات بصمات غائـرة فى شخصية كل فـرد فى مراحل نمـوه المختلفة ، وفى الشباب على وجه الخصوص كفئة متميزة .

الثقافة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للشباب :

الثقافـة كاصطلاح علم اجتماعى هى كل مـدخلات عقـول الأفراد فى المجتمع بما فيه من ماديات ذات أشكال مختلفة واستعمالات محددة ووسائل وأساليب ومعـدات معينة لإنتاجها ، ومـا فيه من حيـوان ونبات وظواهر طبيعية مميـزة كالأنهار والوديان والجبـال والبحيرات ، وما ينتشر فيـه أيضا

من أفكار وآراء وقيم ومعايير ومعتقدات ومعتنقات وعادات اجتماعية وأعراف وتقاليد وبدع وممارسات ، فضلا عن وسائل الاتصال ووسائل المواصلات ، وغير ذلك من المدخلات الدينية والخلقية التى تشكل مع المدخلات الأخرى شخصية الأفراد ، وتكوّن بناؤهم الفكرى ، وتحدد أسلوب حياتهم النفسية ـ الاجتماعية .

هذه المدخلات الثقافية من عناصر الثقافة بنوعيها المادى والمعنوى ، والتى تختزنها عقول أفراد المجتمع ، فتجعل لهم شخصية وطنية تميزهم فى مجموعهم كشعب عن شعوب المجتمعات الأخرى ، تنتقل إليهم بوساطة الوالدين والكبار فى الأسرة ، والمدرسين فى المدرسة ، والأساتذة فى الجامعات ، والفنيين فى معاهد التدريب ، والعلماء الباحثين فى مراكز البحث العلمى ، وعلماء الدين فى المعاهد الدينية والمساجد والكنائس ، والكتّاب والأدباء ورجال الفن ، والإعلاميين فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون ، ولما كان لكل مرحلة من مراحل النمو المدخلات الثقافية ، التى يراها القائمون بنقلها مناسبة لعقول وحاجات أفرادها ، فإن لمرحلة الشباب مدخلاتها الثقافية المناسبة لعقول الشباب وحاجاتهم .

وعملية نقل المدخلات الثقافية إلى عقول الأفراد فى كل مرحلة من مراحل النمو ، بما فى ذلك مرحلة الشباب ذاتها ، هى التنشئة الاجتماعية بعينها . هذه العملية النفسية ـ الاجتماعية ، على الرغم من أهميتها وخطورتها ، تتم من قبل الوالدين والكبار فى الأسرة بطريقة تقليدية ، يتوارثها الخلف عن السلف ، وقلما يستهدون فيها بإرشاد ذوى الاختصاص من المربين والنفسيين والباحثين المهتمين بها . ويضاف إلى الوالدين والكبار فى الأسرة من على شاكلتهم فى اتجاههم التقليدى ، من

القائمين بعملية نقل المدخلات الثقافية إلى عقول الأفراد ، فى مراحل النمو المختلفة بفئاتها العمرية المتدرجة . والأمر اللافت للنظر ، هو أنه بينما لاقت مراحل النمو السابقة على مرحلة الشباب عناية بحثية فائقة ، من جوانب مختلفة أهمها الجانب المتعلق بالثقافة وأهميتها فى التنشئة الاجتماعية، لم تلق مرحلة الشباب إلا اهتماما محدودا ، ينقصه السبر الواعى المستبصر ، لما يجول فى عقول الشباب من خواطر ، وما يعتمل فى نفوسهم من انفعالات الشعور بالقلق والإحباط والتوتر . وكانت نتيجة ذلك ظهور حركات احتجاج قام بها الشباب فى بلاد أوروبية وأمريكية عديدة فى الستينيات من القرن الحالى ، الغرض منها إشعار المسئولين ، وبخاصة فى الجامعات ، بأنهم قوة لا يستهان بها ، وبأن لهم مطالب تستحق النظر فيها ، ومناقشتهم حولها مناقشة تتسم بالتفهم والاهتمام ، ثم تحقيق الممكن منها ، فى جو ديمقراطى يسوده التسامح من قبل المسئولين ، والرضا وعدم التعنت من قبل الشباب . فلما جاءت السبعينيات من بعد ذلك ، بالوفرة والأمان من البطالة والحرمان والكساد ، أمكنهم تحقيق كثير من طموحهم فى معيشة هنية رغيدة مترفة ، ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال ، وصدمتهم الثمانينيات بتقشفها التدريجى الشديد ، وواجهتهم بالشح والبطالة والكساد ، فأغلقت أبواب الأمل فى وجوههم . فأحس الكثيرون منهم بالضياع وأصيبوا بيأس شديد ، ولّد لديهم اكتئابا أفقدهم ثقتهم بأنفسهم ، فأقبلوا على المسكرات والمخدرات يلتمسون فى تعاطيها مخرجا من أزمتهم ومهربا من خوفهم الرهيب ، الناجم عن اعتقادهم الجازم بأن مستقبلهم قد أصبح مظلما لا رجاء فيه .

ويختلف الشباب العربى عن الشباب الأجنبى من عدة وجوه ،

فالشباب العربى ينشأون فى أسر تحيطهم برعاية أكثر وحنان أكبر ، ولا تتخلى عنهم مهما كبروا ، وحتى حينما يتزوجون وينجبون ويصبحون بدورهم أرباب أسر ، وتلقى الشابات بخاصة اهتماما أعظم وعناية كبرى مستديمة . والشباب العربى يربون منذ نعومة أظفارهم على الإيمان بالله ، ذلك لأنهم يتلقون توجيهات دينية فى أسرهم ، ويتعلمون دينهم فى مدارسهم ، ويغرس الحياء فى نفوسهم ، فينمو مع نموهم ، ويعصمهم إلى درجة كبيرة ، وبخاصة الإناث ، من الزلل والانحراف . ومن أهم العوامل التى تقوى تأثير الدين فى نفوسهم وبروز ذلك فى سلوكهم ، بدرجات متفاوتة ، احترامهم للكبار وتأسيهم بآبائهم الذين يحافظون على ممارستهم الشعائر الدينية ، من صلاة وصوم وزكاة وحج . وتهتم الدولة فى الوطن العربى بتقوية الروح الدينية ، بالاحتفال بالمناسبات الدينية وإذاعتها بالصوت والصورة ، كما تهتم الصحافة بذلك فتفرد للكتابات الدينية بابا بارزا على صفحاتها . وتعد إذاعة القرآن الكريم فى كثير من الدول العربية مصدر إشعاع دينى ، بما تبثه من القرآن المرتل والمجود ، ومن السنة المطهرة ، ومن دروس وعظ وإرشاد ، ومن تاريخ إسلامى يركز على سيرة الرسول الكريم وسير الخلفاء الراشدين والصحابة البارزين وعلماء الدين النابهين ، وفضلا عن ذلك ، تتخلل برامجها العامة المذاعة والمتلفزة فقرات دينية لها أثرها على قصرها وقلتها النسبية . ومن أبرز ما يذاع فيها الأذان الذى يدعو المسلمين للصلاة خمس مرات فى الليل والنهار ، فيذكرهم بأعظم فرض فى العبادات ، ويحثهم على أدائه فى أوقاته المحددة ، وبذلك لا تنقطع صلتهم بالله عز وجل .

الغزو الثقافى وتأثيره على الشباب العربى :

يتعرض الشباب العربى إلى غزو أجنبى فى كل فرع من فروع الثقافة،

التى تنقل مـدخـلاتها إلى عقـولهم فيظهـر مفعـولها فى سلوكهم وأسلوب معيشتهم ، ليس فى مرحلة الشبـاب فحسب ، بل أيضا فى المراحل السـابقة عليهـا . فمـلابسهم وكثير من الأدوات والأجهـزة التى يستعملونها فى بيـوتهم ، ووسـائل اتصـالهم ونقلهم ، حتى أدوات كتـابتهم وأجهـزة تصـويرها وتسجيلهـا ، كلها مصنـوعة فى الدول الأجنبيـة ، وعلى رأسهـا الولايات المتحـدة الأمريكيـة ، وبريطانيـا ، واليابان ، وفـرنسا ، وألمانيـا . وهذه ظاهرة تلفت نظـر الشبـاب العـربى ، منذ أن يقـوى وعيهم ويتأكـد إدراكهم ويشتـد تمييزهم ، حتى إذا ، بلغـوا سن الشباب ودخلوا مـرحلته الممتدة من بعـد الثامنة عشرة ، أصبحوا مـن التأثر بالغزو الأجنبى المادى، بحيث يصيرون ، وإن لم يشعروا ، دعاة لاستخدام مصنوعاته . وينجم عن كثرة الطلب لها وتزايده المستمر ، وجود التجار الوكـلاء الذين يستثمرون أمـوالهم فى استيرادها وتسـويقهـا والإعـلان عنهـا وتـرويجهـا . وتلعب «المودات » المستحـدثة دورا مهما فى جـذب الشبـاب وشـد انتبـاههم إلى الجديد منهـا ، والعـزوف عما صـار قـديم الشكل والحجـم ، مما أصبح الاستمـرار على استعماله يدل على طبقة لا يستطيع دخلهـا اقتناء الجديد فى طرازه أى « مودته » .

ويتضخم هذا الغـزو المادى فى عقـول الشبـاب ، بانتشـاره فى كل المجالات التى ينشط فيها الشبـاب ، وفى كل شكل من أشكال التجمعات التى ينتمـون لها ويندمجون مع أفرادها ، من الأسرة إلى المدرسـة إلى النادى إلى الجامعـة إلى مكان العمل ، إذ فيهـا كلهـا تستخـدم أدوات وأجهـزة مستوردة من الدول الأجنبية ومختومـة بعبارة : « صنع فى الولايات المتحدة الأمريكية » ، أو « صنع فى بريطانيـا » أو « صنع فى اليابان » .. وهلم جرا ،

وتصبح هذه العبارة من أبرز المدخلات الثقافية المادية فى عقول الشباب الذى ينبهر بالصناعة الأجنبية ، وبخاصة صناعة السيارات التى يستهويه قيادتها ، وصناعة أدوات الترفيه وأجهزتها الآلية بما فى ذلك الحاسب الآلى (الكمبيوتر) ، الذى صنع أصلا لخدمة العلم والباحثين فى شتى فروعه وطلابه . ويقوى انبهار الشباب بكل ماهو من صنع أجنبى ، مايرونه على الشاشة الصغيرة فى بيوتهم مما يعرضه التليفزيون من موضوعات وأفلام ودعايات تنضح بحضارة الغرب ، أى بثقافتهم المادية . وهذا فضلا عما يتاح بوساطة الفيديو من رؤية أشرطة تبهر العقول بمادياتها ، إضافة إلى الإنترنت والاتصالات الإلكترونية . وليس بغريب إذن أن يتوق الشباب إلى زيارة الدول الغربية والسياحة فيها ، وشراء مصنوعاتها ، والاقتداء بشعوبها فى استعمالها ، ثم التفنن فى استعمالها استعمالا سيئا ، لإشباع شهواتهم الملتهبة.

لكن أخطر شىء فى الغزو الأجنبى ، يكمن فى الجانب غير المادى أى المعنوى من الثقافة ، الذى يشمل الأفكار والآراء والمعتقدات والمعايير والقيم ، التى تملى على الشباب ألوانا من السلوك ، إذا تكرر بانتظام ، أصبح لهم عادات وأعرافا وتقاليد وبدعا ، يتمسكون بها بشدة ، وإلى درجة التعصب فى كثير من الأحيان ، وذلك لانبهارهم الشديد بها ، وإعجابهم البالغ بقائليها وكاتبيها ومصوريها . وهكذا يصبحون بدون أدنى تفكير ، أتباعا لهم ، يأخذون عنهم وينقلون من كتبهم ويدعون لأفكارهم ، بصرف النظر عما إذا كانت متطرفة وهدامة ، أو شكاكة وملحدة ، أو منحرفة ومخربة ، أو إباحية وفاجرة . ويزيد الأمر خطورة ، عندما يصبح لمدخلات الغزو الأجنبى غير المادى ، أى المعنوى ، قيمة كبيرة بين الشباب ، بحيث يصبح مختزنها والمتأثر بها والداعى لها مرموقا

بينهم ، يلتفون حوله ويقدرونه ويقلدونه ، على حين يصبح النافر منها والمفند لها والمحذر من شرورها ، تقليديا محافظا وجامدا متأخرا ، يبتعد عنه من فقدوا هويتهم من الشبان المبهورين بالثقافة الأجنبية غير المادية(١٦) .

وخطر الغزو الأجنبى على الشباب العربى ، يظهر أثره المرضى فى إصابتهم بنوع من الدونية الفكرية المحبطة ، أمام الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية وغير المادية ، فيقتنعون بأنهم المغلوبون فى عملية الغزو الذى يتغلب فيه الأجانب على أيدٍ عربية مضللة ومضلة . و « المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه وبخلقه وسائر أحواله وعوائده » . هكذا قرر العالم الاجتماعى العربى ، عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته (ص ١٤٧) منذ أكثر من ستمائة سنة . وهذا أمر سهل الاستقراء من الاطلاع على كتب القائمين بالتدريس فى الجامعات العربية ومقالاتهم المنقولة من كتب الأجانب ومجلاتهم العلمية . ذلك أن الكتب والمقالات العربية ، التى كتبها الأساتذة والباحثون العرب المنبهرون بالإنجازات والأفكار والمعتقدات والمعايير والقيم الأجنبية تنضح بأسماء الأجانب وتنظيراتهم وآرائهم ومقولاتهم ، بدون تفرقة بين الغث منها والسمين ، لأن حب الشىء يعمى ويصم ، كما تقول الحكمة العربية .

والأمر الذى يجب التنبه له ، هو انتقال التبعية إلى الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية وعناصرها المعنوية ، من أساتذة الجامعات إلى طلابهم ، وبخاصة المتفوقين منهم ، الذين تحرص الجامعة على تعيينهم ليخلفوا أساتذتهم بعد بضعة سنوات ، فينقلونها بدورهم إلى طلبتهم ، وهكذا يتوارث الانبهار بالفكر الأجنبى للشباب العربى عبر الزمن ، وتترسخ

مدخلات الثقافـة الأجنبية فى عقولهم . وهذا أقصى ما يتمناه الأجنبى ، إذ يجد أن ثقافتـه ترسخ وتتوطن على يد شباب الوطن العـربى أنفسهم جيلا إثر جيل (١٧) . وهكذا تحول الاستعمار فى الوطن العـربى من الاحتـلال العسكرى الكثير التكلفـة إلى احتـلال ثقـافى ، لا يكلف الدول الأجنبيـة أعباء مالية ، وإنما يسهم بفاعلية فى ثرائها ، عن طريق ترويج إنتاجها المادى والمعنوى على أيدى فئات غـافلة أو مستهترة أو متطرفـة مـن أبناء الوطن العربى ذاته .

وتدليـلا على ما سلف ذكره ، يكفـى القول بأن بضعة الكتـب المنشورة لأساتذة عرب عن الشباب العربى ، كلها منقولة عن مصادر أجنبية ، مثبتة فيها بالعشرات ، وجل ما فيها وصف للشباب الأجنبى فى عدة مجتمعات ، وبخاصة شبـاب الجامعات ، ورفضهم وثوراتهم واغترابهم عن مجتمعاتهم التى تصيبهم مشكلاتها الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسيـاسيـة ، بالقلق والتوتر والإحبـاط والقهر . ويزيد من شـدة وطأتها عليهم ، خلو نفوسهم من الإيمان بخالقهم ، فيسلمون قيـادهم لأصحاب الأفكار المتطرفة ، التى تفتقد إلى البراهين التطبيقيـة والتجاريب العمليـة . وهنا يصح التساؤل عما إذا كـانت التطرفيـة ، فى أعماقها ، أفيـون المثقفين ، وبخـاصة من الشبـاب الأجنبى ، فى العقـدين السـادس والسـابع من القـرن الحالى . إن نشر هذه الكتب فى الوطن العربى ، لهو غزو أجنبى بليغ الضرر فى نفـوس شبابه ، ما لم تحلل حيـاة كل من الشبـاب الأجنبى والشبـاب العـربى باتبـاع المقـارنة البرهانية فى ضوء الثقافة الأجنبيـة التى طغت عليها القيم المادية ، والثقافة العربية التى تسودها القيم الروحية والدينية حتى الآن .

■■■

الفصل الخامس

الشباب وتحديات المتغيرات المستقبلية

وقد بدأ الحديث عن التحـديات التى تواجه الهوية الثقافيـة الوطنية مع نهضـة أوروبا ومرض الدولة العثمانيـة ، وعاود الظهـور فى القرن التـاسع عشر عندمـا بدأت أوروبا تغلب وتستعمـــر . وتكررت المسألة مع ظهـور القضيـة الفلسطينية كما تكررت مع انتشـار التغيرات الجذرية المرتبطة بالمد الشيوعى فى الخمسينيـات والستينيات ، ومع هزيمة ١٩٦٧ ـ واليـوم تعود المسألة إلى الظهور مع تأثيرات تكنولوجيا الاتصال .

ولم يتـوقف ظهور مسألة تحديات الهوية الثقـافية الوطنيـة على المثيرات السيـاسية ، بل انبعثت المسألـة بفعل مثيرات أخرى على المستـوى الفكرى الفلسفى والعلمى التكنولوجى . وإذا كـانت معظم المثيرات السياسيـة قد تلاشت تاريخيـا عـدا القضيـة الفلسطينيـة ، فإن هناك مثيران لايتراجعـان أولهما : المثير العلمى التكنولوجى ، وهو قوى لا يتراجع ، بل يمضى قـدما إلى الأمـام بزخم متـــزايد ، وثانيهما : هو مـوجـــات الأفكار والفلسفـات الغربية التى تتلاطم على سواحلنا الثقافية موجة إثر أخرى .. لاتهدأ موجة إلا وتلطمنا موجة أقوى منها وأعلى .

جاء رد الفعل التاريخى لثقافتنا الوطنية فى واحدة من الصور التالية :

ـ صورة ترفع لافتة الأصالة وتتخندق فى التراث بعد أن تختزله إلى المثال .



● وقد إنتقل إلينا الغـرب من قبل مع أسلحتـه التى إخترعهـا وتفـوق علينا بها، فى المطبعة و الصحيفة .

- صورة ترفع راية المعاصرة وتأخذ بما لدى الغالب بتنويعاته المختلفة .

- وصورة تطمح إلى الجمع بين الحسنيين الأصالة والمعاصرة ، أو التراث والحداثة .

وبمقدار مـا تختلف هذه الاتجاهات على مستوى الفكر ، فإنها لا تختلف على مستـوى الحيـاة المحسـة ، إذ تنهل جميعـا من ثمـرات الثـورة العلميـة التكنولوجية التى تهطل بغزارة متزايدة .

وقد انتقل الغـرب إلينا من قبل مع أسلحته التى اخترعهـا وتفوق بها ، ومع المطبعـة ، ومع الصحيفة التى وزعهـا ، ومع نظام الجندية التى قـادها نابليـون فى حملتـه التى أيقظـت الشرق ، ومع المحـرك البخـارى فى القطار والمحرك الأحدث وهو آلة الاحتراق الـداخلى فى السيارة ، ومع التليفون ، ثم مع الراديو ، ثم التليفزيون ، ثم تكنولوجيا المعلومات ونقل المعلومات، وأخيرا تكنولوجيـا البث المباشر بالأقمار الصناعيـة . كذلك انتقل الغـرب إلينا فى نظم التعليم والسياسة والبحث العلمى والبناء والصحة وغيرها مما أصبح عالميا .

وكما هو واضح من هـذه القـائمـة المختصرة ، فإن الظـاهرة التى تدور حولها المداولات اليـوم ليست هى قدوم ما هو أجنبـى ، فذلك يأتى طوال القـرنين السـابقين بصـورة متـواصلة تتـزايد مـع تزايد وسـائل الاتصـال والمواصلات فى العـالم ، وليست هى ظاهرة برامج الإذاعـة والتليفزيون أو أفـلام السينما ، فهذه هى الأخـرى مستمرة تستخـدمها أجهـزتنا ذاتها منذ زمن طويل ، بل الظاهرة هى أن ما سينقل عبر تكنولوجيا الأقمار الصناعية يتخطى الحواجز الحدودية مـرتفعا فـوق مدى الرقيب أو حـارس البوابة ،

كما يرتفع على قدرة الدولة المتأثرة على الحد من استقباله كما كانت تفعل من قبل بمنع أو حظر تداول الكتب أو مصادرة الصحيفة أو التشويش على الإذاعة الموجهة . معنى هذا أن أفراد مجتمع معين سيتلقون رسائل إعلامية من دولة أخرى باختيارهم المباشر دون أن يكون لمؤسسات هذا المجتمع الرسمية أدنى تأثير على هذا الاختيار ، وهو ما يمكن أن يؤدى إلى تغيرات محكومة من المؤسسات الرسمية التى تعبر عن العقل والضمير الجمعيين لهذا المجتمع .

ما الذى يمكن عمله فى مواجهة هذه الظاهرة ؟

يرى قلة من المهتمين أن هذه ظاهرة غير جديدة ، فلن يكون تليفزيون البث المباشر أكثر تأثيرا من إذاعات الراديو الأجنبية التى لم تستطع أن تؤثر على ثقافتنا التاريخية الحية ، التى تستطيع الحياة فى مواجهة مثل هذه المثيرات .

ويرى معظم من تعرضوا لهذه الظاهرة أن لها تأثيراتها ، واختلفوا فيما يتعلق بكيفية مواجهة هذه التأثيرات . هناك من يتحدث عن انفتاح كامل من خلال الارتفاع إلى الأداء الثقافى المبدع فى جو من الحرية مع التسلح بالعلم والتكنولوجيا والأسلوب العلمى فى التعامل مع الحياة ، وهناك من يأخذ بالرد النوعى أو الجزئى ، وهؤلاء ينقسمون إلى من ينادون بأن الإنتاج الأفضل هو الذى سيستعيد الجمهور الذى قد تجتذبه تليفزيونات البث المباشر . ويرى آخرون أن الظاهرة كلها بحاجة إلى دراسة أعمق للعوامل التى تؤثر على إقبال جمهور معين على استقبال إرسال معين ، مثل: اللغة ، ومحتوى البرامج ومستواها الفنى ، واهتمامات المشاهدة ، والعلاقة بين الرسالة والمستقبل .. عالمه وهمومه ومشكلاته واحتياجاته الحقيقية وما

يتوقعـه من وظائف للتليفزيـون . وأن ما تم من دراسـات حتى اليوم على هذا النوع من الاستقبال فى أوروبا يبين أن نسبة مشاهدته غير مرتفعة .

ومن المعـروف أن الدولة الناميـة كـانت تدعـو فى اليـونسكو إلى نظام إعـلامى جديد ، وكـانت الهوية الثقافيـة أحد الدوافع الرئيسيـة وراء هذه الدعـوة . ويرى البعض هنا أن الظاهرة التى نتعـامل معها تثير قضيـة على مستوى قانون الأمم . فوفقا لأحد قـرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ليس لدولة أن تنشئ بثـا مباشرا بـالقمر الصناعى أو تصرح به إلا بعـد أن تخطر الدولة أو الدولة المستقبلة بعـزمهـا ، وأن تدخل فى تشـاور معهـا إذا طلبت ذلك ، وأنـه لاتنشأ مثل هذه الخدمـــة المبـــاشرة إلا على أســـاس اتفاقـات. ويشترط نظام الاتحاد الدولى للمواصلات السلكيـة واللاسلكية الموافقـة المسبقـة للـدولة المتلقيـة لإطلاق إشعـاع المحطة الفضـــائيـة على أراضيهـا . وعلى الرغم من هذا ، فإن القـانون الدولى ليس ملزمـا ، كما أن الأطراف المرسلة تحتج بقـواعـد أخـرى مضـادة من نفس القـانون . ومع ذلك، فإن باب اللجوء إلى اتفاقيات إقليميـة أو ثنائية يظل مفتوحا ليحكم مثل هذه المعاملات الدولية الجديدة (١٨) .

خلاصـة :

شهد القـرن العشرون تعاظم الثورة العلمية التكنولوجيـة التى أخذت تفعل أفعـالها مدعمة آثار الثـورة فى المجالين السيـاسى والاجتماعى : ثورة التحـرر والديمقـراطية وحقـوق الإنسـان ، بدأت المسألة فى ميـدان الفكر والبحث العلمى الاجتماعى والفلسفـى . فلم تعـد الحقيقـة ملكـا لواحـد بعينه فردا كان أو مجتمعا . وتركت الواحدية المسرح لتتربع عليه التعددية ،

ومع الواحـدية كان لابد للتمـركـز الثقافى حـول الذات أن يتلاشى تاركـا المكان للتعددية والنسبية الثقافية . وإذا كـان التميز قد انتهى ، فإن المساواة هى الوريث ، ومعها النزعة الإنسانية التى تنمو وتتسع لتشمل العالم . ومع انتشار آثار الثورة العلميـة التكنولوجية وتزايد السكان بشكل لم يحدث من قبل ، ظهرت المشاكل ذات المدى العالمى لتهدد البشرية كلها كخطر الدمار النووى وتلـوث البيئة والجوع والكـوارث والمخـــدرات والأمـــراض الجديدة.. وجميعهـا ظواهر تدعـو إلى التضامن العـالمى والتـوفيق من أجل التوصل إلى حلول تخدم البشرية فى ذلك العالم الـذى أصبح بكل ما يحتويه من تنوع كونا واحدا حولته تكنولوجيا الاتصال إلى قرية عالمية واحدة.

إن مصدر خوف البعض منا مما سيأتى مع تكنولوجيـا الاتصال الحديثة ينبع من القـوة الهجـومية الغـلابة للحـداثة التى لاتقنع بأدنى من السيـادة والانتشار . غير أنه بقليل من التأمل، نكتشف أن لهذه العالمية وجه آخر هو المحلية ،الذى يزدهر مع نمو الثقـافات الوطنية وازدهارها . ومن هنا ، فإن الثقافة الوطنيـة مدعوة ليس إلى الاحتماء بردود فعلها التقليـدية فى مواجهة المثيرات الجديدة ، بل هى مـدعـوة إلى المشـــاركـة فى صنع ثقـافـة المجتمع الدولى الجديد . إن مجىء الصـورة مع الصوت هذه المرة ـ صـورة الحضارة الغربيـة وصوتها ـ يمكن أن يدفع فى ثقافتنا حس المقـابلة بين كيفية تشغيل الحضارة الغـربية لآليـات نموها وتقـدمها ، وإمكانيـات تشغيل مثل هذه الآليـات فى ثقافتنا كى تبـدع منجـزات تثرى الحيـاة الإنسانيـة فى المجتمع العالمى الجديد . ولاشك أن الشباب هم عماد الإبداع والابتكار .

ولكى تنمو ثقـافتنا وتزدهر ، فإن آخر ما قد تحتـاج إليه هو أن تتخندق ضد مـد الثقافة العـالمية . إن ماهـى بحاجة إليـه هو أن تحدث التفاعل بين

مـالديها وما لدى الآخـرين تفـاعلا منتجـا ، ولن يكون منتجا إلا إذا كـان تفاعلا ديالكتيكيا يحول الأضـداد إلى مركب جديد فاعل ، وهذا هو طريق المشاركة فى الحضارة العالمية .

■ ■ ■

أهم المراجع

١ـ محمد على محمد ، الشباب العربى والتغير الاجتماعى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .

٢ ـ عزت حجازى ، الشباب العربى والمشكلات التى يواجهها ، الكويت، عالم المعرفة ، ١٩٨٨ .

٣ـ الشباب المصرى فى إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، التقرير الخامس ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٠ .

٤ـ انظر : Musgrove , F.Youth and The Social Order, Routledge and Kegan Paul ,1968 .

٥ـ انظر : Lewis Fever . The Conflict of Generations, N.Y. Basic Books . 1969 .

٦ـ انظر : S.M, Lipset . (ed) Student Politics, N.Y.Basic Books , 1967

٧ـ فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، بيروت ، دار النهضة العربية، ١٩٨١ .

8 - R. Flacks , Youth and Social Change , Chicago, Markham Book, 1973 .

(٩) عزت حجازى ، المرجع السابق .

وانظر أيضا ، السيد عبد العاطى ، صراع الأجيال ، دراسة فى ثقافة الشباب ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧.

(١٠) انظر : A. Bandura , The Stormy Decade : Fact or Fiction ? in D. Rogers (ed) Issues in Adolescent Psychology , N.Y.Appelton - Century rofts, 1972.

(١١) سامية الساعاتى ، الثقافة والشخصية ، دار الفكر العربى ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠١ .

(١٢) محمد على محمد ، المرجع السابق .

(١٣) انظر حول مفهوم الذات .

Erick Erikson , Identity : Youth and Crisis, N.Y. Norton , 1968 .

(١٤) محمد على محمد ، وقت الفراغ فى المجتمع الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

(١٥) حسن صعب ، تحديث العقل العربى ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٦٩ .

(١٦) حسن الساعاتى ، التحولات الحضارية فى العالم العربى ، نحو نظرية عربية فى الإنسان فى مصر ، تحليلات علمية مهداة إلى أ.د أحمد

خليفة من نفر من الأساتذة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦ .

(١٧) سامية الساعاتى، وآخرون، البحوث الاجتماعية وترشيد السياسات للنهوض بأوضاع الشباب فى ضوء التحولات الاجتماعية الاقتصادية، الفصل الأول، الشباب والتحولات الاجتماعية الاقتصادية : المفهوم والمتغيرات، اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة « يونسكو - إليكسو - إيسسكو» يوليو ٢٠٠١ .

(١٨) ممدوح البلتاجى، أزمه هوية أم عجز عن محاسبة الحرية ؟، مؤتمر الهوية الثقافية الوطنية وتكنولوجيا الاتصال - القاهرة، ٢-٣ نوفمبر ١٩٩١ .

■■■

الفهرس

■■■